● ● ترى ما الذى يحدث فى اثيوبيا ؟ هذا هو السؤال الذى تطلبت الاجابة عليه ذهابى إلى أديس أبابا ثلاث مرات ، فى كل منها كنت أعود ببعض الأسرار ، من ذلك البحر من الدماء ، وحقيقة الامبراطور الاحمر ، وزمرته التى تسمى نفسها (الديرج)

..وتحولت الزجاجات الى براميل دم !

موسى بدوى

● هيلاسلاسى : ادخل مانجستو الكلية الحربية اما مانجستو فقد اغتاله !

● لماذا كان أنحراف الزمرة العسكرية التى اسقطت النجاشى ، عن الخط الثورى الوطنى ، وغرقت إلى الأذقان فى دماء العناصر الوطنية ؟

● ما سر العلاقة الثلاثية التى قامت بين محور أديس أبابا - طرابلس - موسكو ؟

● من هو الذى قتل هيلاسلاسى ، ثم زعموا أنه مات بعد عملية جراحية ؟

● كم تدفع الأمهات لاسترداد أبنائهن الذين يقتلهم الامبراطور الأحمر ؟ الخ .. الخ ...

هذه عينة من الأسئلة التى كان يتعين أن أعثر على الإجابة عليها ، فى الظلمات المتراكمة على أرض أثيوبيا ، خلال رحلاتى الثلاث السريعة التى قمت بها إلى هضاب الحبشة ، التى كانت تعرف قبل ذلك باسم (سويسرا) الأفريقية !

مهمة محفوفة بالأخطار

● أديس أبابا ●

ما أجمل هذه المدينة نهارا ، وما أكثر الأشباح المخيفة التى تجوس فيها ليلا . والزائر الذى تطرح به الاقدار إلى هذه العاصمة الآن ، مكتوب عليه أن يظل حبيسا فى الفندق الذى ينزل فيه من غروب الشمس حتى مطلع النهار . فإذا كان محظوظا ، وحصل على توصيات تزكية ، سمح له أن يتجول أمام فندقه لمسافة مائة متر يمينا أو شمالا ، ما بين الغروب والساعة العاشرة .

أما إذا تجاوز هذه المساحة ، فلا أحد مسئول عما يصيبه ، وذلك لا يقل بحال عن سلب كل ما فى حوزته ، ثم الضرب حتى الموت .

● فكيف يتسنى إذن الوقوف على حقيقة ما يجرى فى هذه البلاد ؟ وماهى الطريقة التى أحصل بها على عدد ضحايا منجستو ، أو التعرف على الاتجاه الذى تتجهه زمرته العسكرية .

والأهم من كل ذلك ، ما هو السبيل إلى كشف الأسباب التى دفعت منجستو هايليه ماريام ، الذى يقبض بيد من حديد على زمام الأمور فى أديس أبابا ، إلى عدائة الصارخ لكل ما هو وطنى فى بلاده ، وتهجمه على أفريقيا ومصر ، وأطماعه غير المشروعة التى تتخطى مياه البحر الأحمر ، وتستقر على منابع البترول فى جزيرة العرب ؟

لم يكن أمامى غير ساعات النهار ، ولم تكن لى من مصادر سوى بقية أعضاء الجالية الإيطالية ، الذين ظلوا فى أثيوبيا إما لأنهم لا يستطيعون مغادرتها ، أو لأن ممتلكاتهم موضوعة تحت المصادرة ، وينتظرون أن يفرج عنها ، أو أن يحصلوا على أى تعويض فى مقابلها ، يبدأون به حياتهم مرة أخرى فى أى مكان من العالم ، بعيدا عن هذا الجحيم ..

أول مايو .
وزجاجات الدماء

أول مايو حضرته فى أديس أبابا ، وكان ذلك فى رحلتى الثانية إلى هناك . أما المرة الأولى فكانت مجرد زيارة عابرة ، عندما كنت ذاهبا إلى نوجو ، فقضيت ليلة رهيبة فى فندق بقع فى أطراف المدينة ، فوق هضبة تطل على بعض معسكرات الجيش . وطوال الليل كانت تنطلق الأسلحة المختلفة ، وعرفت فيما بعد أنها كانت عملية أعدام تنفذ بالجملة فى عدة مئات من الطلبة الجامعيين .

أما فى هذه الزيارة الثانية ، فكان الوقت نهارا ، وكان هناك احتفال ضخم ، أقيم بمناسبة عيد العمال العالمى .

● فكيف جرى الاحتفال به فى أثيوبيا ؟ تقليد جديد ابتدعه منجستو ، من المؤكد أنه لم سبقه اليه أحد على مر التاريخ :

يقف الزعيم على منصة متوسطة الارتفاع ، وأمامه مائدة منخفضة عليها الميكروفونات ، وإلى جوارها مجموعة من الزجاجات الملئية بسائل أحمر . همس فى أذنى الصديق الايطالى الذى رافقنى إلى الاحتفال ، إنه دماء بشرية .

الأثر الدامى

كانت الجماهير المحتشدة تستمع فى وجل إلى عبارات التهديد والوعيد . لقد جمع البوليس الحربى كل هؤلاء الناس بشتى الطرق ، فسير فى البداية مجموعات كثيفة من الجنود المدججين بالأسلحة ، وفى أعقاب ذلك مباشرة صعد ليلقى خطابه . وركزت أتفرس فى وجه هذا الرجل .

إن الأثر الذى يحدثه فى النفس هو أثر رهيب . وتذكرت فى هذه اللحظات ماقرأت عن راسبوتين وكيف كانت عيناه تبعثان أشعة غريبة ، وتسلب من يتعرض لها إرادته . لكن هذا الإمبراطور الأحمر ، الذى يصيح صيحة مرعبة بين فقرات خطابه ، وبين الحين والآخر يحطم زجاجه من الدماء ، يسعى إلى أن يترك فى هذه الجماهير أثرا دامیا ، فيسلمون إليه زمامهم ، كما فعل عندما استولى من رفاقه فى الحركة الثورية على السلطة كلها ، رغم أنه لم يكن فى بداية الحركة سوى ضابط صغير برتبة الملازم ، عهد إليه بمهمة بسيطة وهى حراسة هيلاسلاسى بعد اعتقاله وكان ذلك عام ١٩٧٤ .

قاتل النجاشى

● هناك علامة استفهام ضخمة لم يرد أحد عليها حتى الآن ، تتعلق بوفاة الامبراطور هيلاسلاسى وهل كانت طبيعية أم جنائية .

ففى يوم ٢٧ أغسطس ١٩٧٥ ، صدر عن الزمرة العسكرية الاثيوبية التى استولت على الحكم بعد اعتقال الامبراطور العجوز بيان يقول إنه توفى ، متأثرا بالعملية الجراحية التى أجريت له فى البروستاتا .

ولقد كثرت التكهنات بعد ذلك حول صحة هذا البيان ، خاصة وأن أحدا لم يصدق قصة العملية الجراحية لأنه من غير المعقول أن تبلغ النزعة الإنسانية بتلك الجماعة العسكرية إلى الحد الذى يجعلها تكشف أن الأمبراطور مريض ، فتجرى له عملية تشفيه من مرضه .

وفى المرة الثانية التى ذهبت فيها إلى أديس أبابا ، عرفت الحقيقة فى هذا الصدد ، وهى أن هيلاسلاسى مات متأثرا بأن وضع شخص ما تسلل ليلا إلى الغرفة التى كان يرقدفيها ، وسادة على وجهه ، وظل يضغط عليها بكل ثقله ، حتى لفظ الرجل العجوز أنفاسه .

● ● أما المرة الأخيرة التى كنت فيها فى أثيوبيا ، فقد أكتشفت من يكون ذلك القاتل :

إنه منجستو . فلقد كان يتولى حراسة الإمبراطور ومعه كتيبة من الجنود ، ثم دار فى ذهنه أن يجرب عملية القتل .

وبالذات فى ذلك الرجل الذى كان يعطف عليه وهو صغير: عندما كانت أمه تحمله على ظهرها وتذهب به إلى القصر الامبراطورى ، حيث كانت تعمل خادمة .

وكان الامبراطور أيضا ، هو الذى الحقه بالكلية العسكرية ..

مذابح فى الجامعة

لقد ولدت تلك الخادمة هذا الطفل الذى قدر له أن يستولى على أقدم عرش فى أفريقيا ، من زواجها من جاريش حبشى كان ملحقا بجيش الاحتلال الإيطالى ، ثم طرد منه فعمل حارسا ليليا فى احدى شركات البناء .

وقد كان منجستو الابن لا يزال ملازما فى الجيش عندما وقع الانقلاب ، وتشاء الصدف أن يصدر أمر بتكليفه ومعه مجموعة من الجنود بحراسة المكان الذى رضعوا فيه الأمبراطور المخلوع ، فلم يلبث أن تخله على الصورة التى أشرت إليها .

وأنتشر نبأ مصرع هيلاسلاسى بين الجنود القريبين من المكان ، فالتفوا حول (البطل) الذى قتله . وإذا شعر منجستو أن معه عددا لا بأس به من الثوات ، فإنه أعلن تمرده على رؤسائه ، ومازال يدبر ويتآمر حتى خلا له الجو ، وأصبح هو المسيطر على الحركة العسكرية كلها .

وكشف منجستو عن حب شديد للنظر الدماء ، وما إن أصبح يسيطر على جماعة فى أيديها كل أسلحة القتل والدمار ، حتى راح يأمر بقتل كل من يشتم أنه خطر عليه ، إلى أن صفى كل المجموعة التى قامت بالانقلاب .

واستدار بعد ذلك إلى المدنيين ، وقد وضع نصب عينيه أن يبدو رهيبا حتى يخشاه الجميع ، وخاصة طلبة الجامعة الذين التفوا حوله فى البداية ، فراح يطيح بزعمائهم ثم دبر لهم المذابح الجماعية التى كانت تجرى فى قلب الجامعة . وقد بلغ عدد الذين قتلهم فى إحدى هذه المذابح التى استمرت ثلاثة أيام ، خمسمائة قتيل !

أما زعماء الحركة الأصليون ، لقد قضى عليهم فرادى وجماعات ، وفى مقدمتهم الجنرال نافارى بانق ، والجنرال هانديم ، ومعهما مجموعة الضباط التسعة والخمسين ..

كاسترو .. يحيى الزعيم !

عندما تولى منجستو الحكم المطلق فى أثيوبيا ، كان قد اجتاز اختبارا دمويا رهيبا . فقد اعتقلت الجماعة المتآمرة له خلال الصراع على السلطة زوجته وأمه وابناءه الأربعة ، وبعثوا يهددونه بأنهم سيقتلون أسرته إذا هو لم يلزم التعقل ، ويعهد إلى صفوف الجماعة التى قامت بالانقلاب .

وكان زهد على هذا التهديد سببا فى الشهرة التى اكتسبها كرجل يولغ فى الدماء ، إذ قال :

إذبحوهم واطبخوهم .. ولا تسمحوا أن تبعثوا إلى بنصيبى من هذه الأكلة الطيبة !

وأخذ يبتدع بعد ذلك أساليب جديدة فى القتل ، منها لف الأسلاك على رقاب الطلبة وشدها حتى تنفصل رؤوسهم ، ومنها قطع أعضائهم التناسلية وتركهم يتزفون دمائهم حتى الموت ، ودق الرءوس بأكعاب البنادق حتى تتفتت .

ألا أن الرحمة كانت تأخذه أحيانا ببعض هؤلاء الطلبة ، وخاصة عندما يثبت انهم لم يشتركوا فى أى مظاهرة ضده . وهؤلاء ، كان يكتفى بوضعهم أمام جدار ثم تطلق عليهم دفعات كثيفة من رصاص الرشاشات ، فيخرون صرعى .. ولكن بغير ألم !

وتجىء الأمهات بعد ذلك للبحث عن أبنائهن ، وإذا بجماعة الدرج تطلب من كل أم خمسين دولارا ، حتى تسلمها جثة ابنها .

ولقد تناثرت أنباء الثورة فى منجستو إلى خارج أثيوبيا ، فاستحق عليها تقدير فيديل كاسترو ، الذى جاء يسعى فى افريقيا ، ليبنى (أبطال) أديس أبابا على هذه الأعمال الثورية المجيدة .

وما كاد كاسترو يغادر العاصمة الأثيوبية ، حتى بدأت عملية أرهابية كبرى يوم ٢٣ مارس الماضى ، قامت بها مجالس الحى التى أنشأها منجستو على نمط اللجان الشعبية فى ليبيا ، وهى العملية التى تلقى بعدها رسالة التقدير التى بعث بها إليه بودجورنى ، وجه إليه الدعوة لزيارة موسكو .

وفى يوم ٦ مايو الماضى صدر بيان مشترك عن هذه الزيارة ، جاء فيه أن موسكو قد بد العون إلى منجستو وزمرته العسكرية فى أديس أبابا ، جزاء لأعمال البطولة التى قام بها فى هذا الجزء من أفريقيا .

وعاد منجستو من موسكو ، وفى أعقابه شحنات هائلة من الأسلحة ، تأكمل على البقية من (المتمردين) الوطنيين ، ثم اتجه بعد ذلك إلى أريتريا ، فى محاولة للقضاء على ثورتها .

وظهر بعد هذه العودة محور يتكون من اديس أبابا - طرابلس - موسكو ، يقوم على الاموال الليبية ، والاسلحة السوفيتية ، والقدرة على سفك الدماء فى أثيوبيا .

● فلقد أنتقل التركيز من الصومال التى بدأت تتجه إلى العالم العربى وتتخلى عن الاتجاهات الشيوعية ، إلى أثيوبيا ، اعتمادا على عدائها لكل ماهو عربى . اما الخطة الجديدة التى اقتنعوا بها منجستو ، فهى أن يضم نهائيا كل أراضى اريتريا ، ثم ينطلق شرقا ، فيعبر البحر الأحمر ، ثم يباح له الاستيلاء على حقول البترول فى الضفة الأخرى وفوق كل ذلك يكون له الاشراف على مضيق باب المندب ، ذلك الحلم السوفيتى الذى يصعب على موسكو الاقلاع عنه .

ولأن منجستو رجل لم يقرأ كتابا واحدا فى التاريخ ، ولا فى الجغرافيا ، فإنهم أدخلوا فى روعه أن تلك الحقول العامرة بالذهب الأسود ، إنما هى امتداد لأرض الحبشة ، وأن البترول الذى فيها قد هبط من هضابها وظل يسيح حتى وصل إلى هناك ، إذن فمن حقه استعادته .

وكما أن الجنون أصبح سمة العصر فى بعض العواصم الشعبية فإن أضعف الأحلام هى الشرط الأساسى الذى يتعين توافره فى الذين يتولون زعامة الجمهوريات الشعبية .

● وهذه هى عقيدة زعيم أثيوبيا !

● مانجستو .. أكل كل من قام بالثورة

قل لى يا: قائد شرطة السياحة .. !

زارنى صديق أمريكى وصحبته فى جولة إلى المناطق الأثرية فى القاهرة .. ثم شارع الهرم حيث صعدت معه إلى الأهرامات .. وأبى الهول ..

أقول لك الحق يا قائد شرطة السياحة .. إننى أسفت كثيرا لما أصاب السياحة فى مصر .. ولا أعرف هل لديك - وكذلك رجال شرطة السياحة - علم بما وصلت إليه حالة السياحة فى مصر .. وبما يلاقيه السياح على أيدى بعض « الرتزقة » من أمور يخجل لها كل مصرى ..

أم أن التقارير التى ترفع إليك .. تقول ، كما هى العادة فى كل وزارة ، إن « الحالة عال العال .. وكل شىء تمام يافندم .. »

هل تعلم يا قائد شرطة السياحة ماذا شاهدت فى منطقة الأهرام بعينى رأسى .. ؟

لقد صعدت مع صديقى الأمريكى إلى داخل « هرم خوفو » .. ويا هول ما شاهدت .. ؟ !

هل لديك لكرة يا قائد شرطة السياحة عما فى داخل الهرم .. ؟

يا للكارثة .. ويا للعار .. !

والله لولا أن الأمر يتعلق بسمعة مصر لما ذكرت لك ماذا شاهدت ..

لقد انقلبت معدتى . وأغمى على صديقى الأمريكى عندما صدمتنى رائحة كريهة تنبعث من كل مكان داخل الهرم .. ؟ !

لم يكن الأمر فى حاجة إلى البحث عن مصدر هذه الرائحة الكريهة لأن « البراز » كان يملأ كل مكان .. !

لقد سألنى صديقى الأمريكى عن مصدر هذه « القذارة » و .. و .. و .. !

رايتنى خجلا وأنا أقول له : ربما يكون طفل قد اضطر إلى ذلك .. وفى مجال « المزاح » معه قلت له : أو ربما يكون هذا أثرا من آثار الفراعنة .. !

بينما السبب الحقيقى ، كما علمت ، أن « الفاعل » هو .. حارس الهرم .. !

يا قائد شرطة السياحة .. إن الأمر أخطر من أن يقف أى مسئول مكتوف اليدين . ويكتفى بطلب تقرير يقدم إليه وهو جالس فى مكتبه المكيف عن حالة السياح فى مثل هذه الأماكن

إن الأمر يتطلب الحركة . واستمرار المراقبة لأنه يتعلق بسمعة مصر .. وكرامة أبناء مصر .. وبالفراعنة الذين نعيش على أمجادهم .. والذين من أجلهم أنشئت وزارة اسمها .. وزارة السياحة .. وخصص لها قسم لشرطة السياحة ..

أحمد مصطفى